حلب في عهد إبلا

الفونسو أركي

تعريب: علي خليل

تبين الرسائل والوثائق الاقتصادية من أرشيف ماري، أن مصير حلب، خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، كان رهناً بمصير إله طقسها: الإله «حدّا». وأن زوجة إله الطقس في حلب، والذي أحله الحوريون مقام إلههم الرئيسي: تيشوب، كان اسمها «خبت».

وأحد أهم الألهة المعروفة من أرشيف إبلا (القرن الرابع ق.م) هو حدّا الخلامي، وخلام اسم مكان لابد أن يتطابق مع حلب Halab، فالحرفان ب وم يقبلان التبادل)؛ وكان اسم زوجته خا ـ أباتو Ha'abatu. الحرف الصامت ل «L» لايكتب أحياناً في اللغة الإبلائية (مثال، ا ـ ا ـ غا ـ دو a–a–ga-du= في الأكادية الَكتو alaktu بمعنى «رحلة»)؛ وعليه فإن خاباتو (خبت لاحقاً) تعني خلبيتو «مؤنث خلب».

خلال القرن الرابع والعشرين، كانت «خلب» واحدة من أهم الأماكن المقدسة في مملكة إبلا.

١. إله الطقس في «خلب»

في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، ارتبط مصير حلب بمصير إله طقسها. فها هو ياريم ليم ملك خلب (العقود الأولى للقرن الثامن عشر ق.م) يُعلم ملك «در» (A1314). «لقد أنقذت مدينة بابل بفضل جيوش الإله أدُو Adu إله ياريم ليم، ووهبت الحياة لك ولمدينتك» وعندما يرفض زمري ليم، الذي اعتلى عرش ماري بفضل مساعدة ياريم ليم نفسه، التخلي عن ملكية له في المنطقة، يقوم حدّا الكلاسي (موضع في جوار حلب) باعلامه عن طريق الوحي الإلهي (A 1121. A 2731t) بما يلي: إذا لم يسلمها، فإني القادر على الاستيلاء عليها. أنا سيد العرش، سيد الأرض والمدينة. أما إذا حقق رغبتي فسأهبه عرشاً إثر عرش، منزلاً تلو منزل أرضاً إثر أرض، مدينةً تلو مدينة، وقد أسلمه بلده من الشرق إلى الغرب.» ويحمل الوجه الآخر للرقيم وحياً آخر من (حدّا الخلبي» Hadda el Ḫalab): (ألست أنا آدو Addu، سيد خلب Halab، الذي فقهك من بين الرعية، والذي أوصلك إلى العرش وإلى منزل والدك؟» وفي A1968 تكون رسالة حدّا الحلبي أكثر جلاء: «هذا مايقوله آدو Adu: البلاد كلها أعطيتها ليهدوم ليم Yahdum Lim، وبفضل جيوشي لم يكن له ندٌ في المعارك، تخلى عن بلدي، بلدي الذي ائتمنته عليه، هاأنذا أهبه لشمشي آدو Samsi - Addu ثم لشمشي آدو. لقد أعادك زمري ليم Zimri - Lim إلى عرش أبيك وأنا أعطيتك الجيوش التي حاربت بها ضد تمتوم Temtum. لقد مسحتك بزيت انتصاري، ومامن أحد وقف في وجهك.» وهكذا نجد أن سلطة خلب هي في يد إله طقسها.

ويظهر اسم إحدى السنين في ماري (بالإضافة إلى الهبات (النذور) المقدمة في مناسبات مختلفة) ولاء زمري ليم لهذا

■ راجع التعليقات والمراجع والصور في البحث الأصلي بالقسم الأجنبي

الإله وعبادته إياه: «العام الذي قدم زمري ليم فيه تمثاله لحددا الحلبي».

٢. خبَت، عشيرة إله الطقس

في رسالة من ماري، ARMx92، نجد الإلهة خبت جنباً إلى جنب مع إله الطقس. حيث تطلب امرأة تدعى شِفيروم-أوربات، أخذت منها مرضعة. الإنصاف من زمري ليم «أعد لي مرضعتي لأباركك عند إله الطقس (dIM) وعند خبت (ba - at) 23 - 21 . 11) -dHe»، وبما أن المرأة تحمل اسماً حورياً وأن خبت كانت في مجمع الآلهة الحوري هي زوج إله الطقس تيشوب، يعتقد أن الرمز IM يعود لـ تيشوب.

يبدو أن المرأة تنحدر من ساغاراتوم على نهر الخابور في شرقي سورية. لكن عبادة خبت انتشرت في غرب سورية أيضاً. هذا مايبينه الرقيم (KT K/ K4) الذي وجد في (كوليتي / كانش) السوية IB «والذي أرسله شخص يدعى إخلي-أدّو، أحد ساكني مركز سوري غير معروف. أحد الشهود المذكورين في الوثيقة، والذي يحتمل أن أصله من قطنه، يحمل اسماً مع المقطع اللاهوتي «خبت»: آ-مي-في-باشا-قا-تان. وبعد ذلك بقرن تقريباً تم التأكد من وجود أسماء أنثوية، لدى آلالاخ سوية VIII، صيغت مع هذا المقطع.

وفي هذه الفترة بالذات، كان أهم ثلاثة آلهة في مجمع آلهة حلب هم: إله الطقس وخبت وعشتار. هذا مايبينه نقش لـ«أبّا» اليمحاضي حوالي ١٧٥٠-١٧٢٠ ق.م، حيث يسجل هذا الملك تنصيبه لأخيه ياريم ليم حاكماً على آلالاخ. وبما أن خبت في مجمع آلهة الحوريين الغربيين هي كما أسلفنا عشيرة تيشوب، فقد ساد الاعتقاد بأن هذا النقش يحدد بداية النفوذ الحوري في حلب. لقد كتب اسم الإله بالرمز الكتابي IM، وبما أن تيشوب يتماثل مع حددا، فقد أمكن لكل جماعة عرقية أن تعبر عن اسم إله الطقس بلغتها.

في بداية القرن الخامس عشر، كان هؤلاء الثلاثة مايزالون الآلهة الرئيسية للبيت الملكي في آلالاخ. فهاهو إدريمي يقدم نفسه بما يلي: «أنا إدريمي عبد إله الطقس dIM، عبد خبت وعبد عشتار (dMu.S) سيدة آلالاخ، سيدتي.

بالرغم من أن حقيقة أن خبت هي عشيرة إله الطقس الحوري، تيشوب، فإن ل.ج غلب يرى «أنها كانت إلهة محلية أصيلة في وادي الرافدين والأناضول» وفي الوقت نفسه تقريباً أشار ي.آ سبايرز أيضاً إلى أن» هذا التكسير [في كتابه اسم خبت] يجعل من المرجح أن الاسم لم يكن حوري الأصل»؛ ويضيف: «إن اسقاط حرف التاء «T»، الأخير [في أسماء العلم مثل تا-دو-خي-با-جي-لو-خي-با] يشير على الأرجح، إلى أصل سامي.»

والآن تبين النصوص الإبلائية ليس فقط بأن خبت (على اختلاف الشكل الكتابي) كان ينظر إليها باعتبارها زوجة إله الطقس الحلبي، حددا، منذ الألف الثالث قبل الميلاد، بل تبين أيضاً أن اسمها لم يكن سوى النعت الذي يعني «الحلبية» أي «سيدة حلب».

وتربط بعض قوائم الهبات بين إله الطقس وخبت ربطاً مباشراً، كما في الرقيم ....: TM. 75 G. 1464 rev. 1X-X6 دعامة دائرية بقرون أربعة لثورين: هبة من الملك «الحدا» في الشهر الثامن، وشاقل واحد ذهبي منقوش: تقدمة من الملك لخبت بسبب مرض أمه (الملك)«. والرقيم TM 75 G. 2429 rev - IX418 يظهر إله الطقس هذا هو خدا سيد «خلام»؛ بالإضافة إلى أن الرقيم TM 75 G. 10143 12-9 obv.VII يثبت أن خبت كانت آلهة لنفس المركز أيضاً.

وفي نظام الكتابة الإبلائية يمكن أن لانلفظ الحرف الصامت «ل» مثال La - ru - ga - du (لا-رو-غا-دو) / A – ru - ga - du (آ-رو-غا-دو (اسم جغرافي)، وa – ga -du – a (m Halaktu (آ-ا-غا-دو) / (هلاكتو (م)) (بالأكادية alaktu (الكتو)؛ أو En - na - il (ان-نا-إيل) / En - na - I (ان-نا-إي) (اسم شخص). بناء على ذلك يمكن أن يترجم اسم الآلهة (ba - du a – H (خ-ا-با-دو) / (Ḫahabatu) (خهاباتو) بسهولة باعتباره شكلاً من أشكال نسبة المؤنث خلبيتو halabaitu، أي السيدة الحلبية أو سيدة حلب.

فإذا كانت (Ḫalabaitu Ḫaábatu) هي إلهة حلب فإن اسم المكان خلم لابد أن يكون حلب Ḫalab) .

لقد ارتأى وولغرام فون سودن أن خلام لابد من مطابقتها مع حلب . ثم جاء و . ج . لامبرت بعناصر أخرى لصالح هذه النظرية « مادامت عبادة أدد « Add » كانت قائمة في سورية منذ زمن أرشيف ماري، فللمرء أن يتوقع ظهور « أدد » حلب في وثائق إبلا . إن أهم إلهين للطقس في نصوص إبلا هما حدًا (أدد)الخلامي وحدًا اللو أوبى (lu - ub) . نجد أيضاً في وثائق ماري المعاصرة لوثائق إبلا تصديقاً على ذلك (إله خلم : Dingir Ḫa- (614 i20 16) ،dtl - Ḫa - lam, (22 III6) lam ، الذي كرس له معبد . لذا يرجح (يتابع لامبرت) أن خلم يجب أن تتطابق مع حلب، الفرق الصوتي ليس مشكلة، لأن الحرفين « م » و »ب » قابلان للمبادلة بطبيعة الحال، والأداء الصوتي الأكادي لرموز المقاطع السومرية المنتهية بالحرف / م m/ يوحي بلفظ شبيه بلفظ الـ (ب b) أو (پ P) مثال عليم alim = عليمبو؛ ذو لوم (١) = ذو لو پو .

وهكذا، يؤكد تحليل اسم الآلهة Ḫa - abatu تأكيداً حاسماً بأن خلم Ḫalam يجب أن تقرأ خلب Ḫalab .

يمكن تتبع تاريخ اسم خبت Ḫebat وإرجاعه إلى خاباتو Ḫaábatu، فالانتقال من الحرف « a » إلى الحرف « e » في المقطع الأول يمكن توضيحه في حال كان اختفاء الحرف « L » ناتج عملية ادغام في الحلق؛ مثل بألوم baálum (أكادية قديمة) بلوم Bélum (بابلية قديمة) بمعنى يحكم .

وفي أسماء الأعلام المركبة مع المقطع اللاهوتي خلب Ḫalab كالمقطع الثالث في آخر اسم ملك إبلا - Ig - ri Ha - lab لايكون اسم المكان سوى أطناب في مديح إله ذلك المكان . هاهو اسم علم آخر من ماري يعود إلى العهد البابلي القديم I_din - Ha - la - ab، واسم آخر يشهد على صحته رقيم من (إسن Isin) هو - Puzur - Ha - la ab وكلاهما يستحضران المقطع اللاهوتي ذاته .

خلب والهها في النصوص الإبلائية

للفظة خلب وتاريخها تعليل مقنع . فلفظها في الأوغارتية (ح ل ب HLb) بمعنى التل، وهذه المدينة التي ظلت مركزاً هاماً بلا انقطاع، لما لايقل عن ٤٥٠٠ عام، تأخذ اسمها من التل الصخري، الذي تعلوه حالياً قلعة هائلة، حاجبة تحتها سويات أثرية موغلة في القدم (مما يجعل التنقيب عنها أمراً عسيراً) وربما حفظت بشكل رديء، إذ يسود الاعتقاد بأن التشييدات المعمارية قد ركبت فوق بعضها دون تانٍ .

لم تكن خلب في عهد الأرشيف (القرن الرابع والعشرين) عملياً سوى مكان عبادة ضمن سلطات ملوك إبلا، يشرف عليها قيم (أوغولا) مثلها مثل مراكز أخرى كثيرة) . فهي تقريباً لاتذكر إلا مرتبطة بإلهها . وحين يرتحل إلى حلب كانتيسو أحد الشخصيات الرسمية الهامة في أورشوم Ursaum (موضع يتطابق مع أنتيب Antep) مكلفاً بتسليم مو - دو (Mu - Du) كمية من الفضة لإبلا، فلا بد أن السبب كان ذو طبيعة دينية (TM 75 G. 2351 rev. VIII 11-7) .

كان حدًا الحلبي أحد الآلهة الرئيسية في إبلا أيضاً . وتبين قائمتا أضاحي أن تمثالاً لحدا تم تكريمه في معبد كورا أهم آلهة إبلا، لكننا لاندري إن كان هو حدًا الحلبي 2" udu ^{d}Á-Da en-nidha é ^{d}Ku - ra" 11010 (+) obv. (II26 (كبشين لحدًا : ضحى الملك بهما في معبد كورا) .

من غير الممكن غالباً أن نثبت ماإذا كانت بعض السجلات الإدارية تشير إلى حرم خلب أو إلى حرم إبلا . وبذلك ليس مؤكداً ما إذا كانت « مينات اللازورد التسعة (5.4 كغ قيمة 5.1 كغ من الفضة) مقابل رأس حدًا الخلبي (TM 75 G. 1860 rev. XVI 19-10) ترجع إلى الإله المبجل في معبد حلب أم في معبد إبلا . وهنالك تمثال آخر للإله بوجه ويدين يغطيهما الذهب (rev. XVII 20 ff G .2462)، ربما جرى تقديم هذه المصنوعات في إبلا في الشهرين الثالث (iTi ^{d}AMA - ra) والثامن (iTi i- nun/ iTi nidba ^{d}A - da) كان أربائيل حينئذٍ كاهناً (باشيش) لحدًا الخلبي .

وتميز قوائم الأضاحي بجلاء بين العبادات في إبلا (القسم الأول) وتسليم الغنائم لأداء الشعائر في المراكز الأخرى (القسم الثالث) . ففي الرقيم (TM 75 G 1764)

يتلقى حدًا الحلبي أضاحي في إيبلا، في اليوم المكرس له في الشهر الثالث (dAMA - ra) من الملك وإراق - دامو (Iráq - Damu) ولي العهد. أما في الرقيم (TM 75 G. 10167 obv. III 15 FF) فيقوم بالتقدمات خمسة من أبناء الملك الأخير عشتار - دامو (Istar - Damu)، وهم ذ- دامو Damu – Ze، زب - دامو (Zib - Damu)، ذو خوانو (Zuhuanu) ساغ - دو (Zag - Damu)، وابتي دامو (Ibti - Damu).

وحتى في الرقيم (TM 75 G 1764)، لكن في القسم المتعلق بتسليم الأغنام خارج إيبلا، يتلقى حدًا، في خلب، أضاحي من إتّي - إدبال (ITTi - Idbal) وروزي - مالك (Ruzi - Malik)، أخ الوزير إبّي زيكر (Ibbi - Zikir) وابنه على التوالي. ويحتفل بالشعائر المقامة لحدًا في خلب في الشهر الجديد اتي غيبيل (Iti gibil) بشكل عام، وربما جرت في الشهر الثامن الذي يبدو مطابقاً للشهر الذي يأخذ اسمه من عبارة « تقدمة لحدًا » اتي ندبا عدا Iti nidba dA dd -، تمليها الشعائر المقامة لحدًا اللؤوبي (Hadda el Lu - ub)، المركز العظيم الآخر لعبادة إله الطقس. وأحياناً يجري تقييم التقدمات المقامة لحدًا في حلب: ٣٨ رأس غنم من الملك في الشهر الثالث، حسب الرقيم (Tm 75 G. 22 38 rev. X9-15) ويسجل الرقيم ARETx99 إرسالية للتضحية في شهر ندبا nidba مؤلفة من ٨٠٠ رغيف خبز طاهر، دقيق قمح وست جرار من نبيذ الشعير تقدمة من الملك، في حين يقدم الوزير أبي زيكير ستة جرار أخرى.

وتكتب لمعبد إله خلب، ربما من أجل أعمال الصيانة، كمية بارزة من الفضة ١٠٦ كغ تقريباً، ليس من ضمنها (با - لو - ما) قيمة ٤ خناجر ذهبية ونطاق ذهبي مع قلادة وسيف ضالع قدمها الملك إلى معبد حدًا في خلب». يُلحق بها ٢,٥ كغ من الفضة خصصها القصر لـ ٤٤ شخصاً لهم صلة بالمعبد، من بينهم عدد من الحدادين والمنشدين (سنوك - سموك، نار - نار sinug - Simug , nar - nar)

إنه نفس المعبد الذي يمضي إليه الملك الشاب انتور (entur) ملك توبا (Tuba) مع اثنين من وجهاء قومه ليؤدي قسم الولاء لإبلا في (udnam - k é dÁ-da) بيت الإله أدا (ARET I11) وهذه حالة استثنائية، لأن الشعائر من هذا النوع كانت تقام في معبد كورا في إبلا.

في ذلك العصر، لم يرد إلى جانب خلب حصراً تقريباً، ذكر أية مراكز أخرى باعتبارها أماكن عبادة لإله رئيسي. وعليه فإن خلب، زمن أرشيف إبلا، كانت بلدة معبد.

منذ بداية الألف الثالثة على الأرجح، أقام الناطقون بالإبلائية والقاطنون شمال سورية عبادة إله طقسهم، حدا، على تل مطل على حلب. أما المجموعة التي استوطنت إبلا فقد آلت إليهم عبادة إله محلي عظيم، يعود للسكان المخضعين، اسمه كورا. لقد غرست المملكة الإبلائية جذورها عميقاً في التقاليد المحلية. فها هو طقس زواج القرينين الملكيين، ARET X1؛ لا يذكر حدًا؛ بل يظهر « الملك والملكة » الجديدين كممثلين لإله كورا وعشيرته (زوجته) باراما (Barama)، وهذه بدورها « يعاد تجددها » طقسياً. وقد اعتبر حدًا أيضاً إلهاً عظيماً في إبلا. فالعاهل كان، قبل أن يصدر أي حكم، يتضرع للإله كورا ولإله الشمس ولحدا ولجميع الآلهة.

وحين سقطت إبلا، اختارت إحدى السلالات الأمورية الحاكمة خلب في بداية الألف الثانية، كمركز سياسي لغرب سورية، ومن الواضح أن التقاليد الرائعة لعبادة حدًا هي التي جذبتهم للقيام بذلك. كان ذلك خياراً ماتزال نتائجه ماثلة أمام أعيننا: فحلب ماتزال مدينة هامة وساحرة، بخلاف إبلا التي اضطرت لانتظار أعمال الباحثين كي ترجع إلى الحياة بعد موت طويل.